

الكشاف

عن ابن عباس ومجاهد : هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل
ثم سورة القلم . محل " باسم ربك " النص على الحال أي : اقرأ مفتتحا باسم ربك قل : بسم
الله ثم اقرأ . فإن قلت : كيف قال : " خلق " فلم يذكر له مفعولا ثم قال : " خلق الإنسان " ؟
قلت : هو على وجهين : إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق
واستأثر به لا خالق سواه . وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق
فليس بعض المخلوقات أولى بتقيره من بعض . وقوله : " خلق الإنسان " تخصيص للإنسان بالذكر
من بين ما يتناوله الخلق ؛ لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض . ويجوز أن يراد :
الذي خلق الإنسان كما قال : " الرحمان علم القرآن خلق الإنسان " الرحمان : 1 - 2 - 3
ف قيل : " الذي خلق " مبهما ثم فسر به بقوله : " خلق الإنسان " تفخيما لخلق الإنسان . ودلالة
على عجب فطرته . فغن قلت : لم قال " من خلق " على الجمع وإنما خلق من علة كقوله : " من
نطفة ثم من علة " ؟ غافر : 67 قلت : لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله : " إن الإنسان
لفي خسر " العصر : 2 " الأكرم " الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم بنعم على
عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه
وركوبهم المناهي وإطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظام فما
لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال : " الأكرم
الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " فدل على كمال كرمه بأنه علم بعباده ما
لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من
المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دوت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار
الأولين ومقالاتهم ولا كتب إلا بالمنزلة إلا بالكتابة ؛ وللاهي لما استقامت أمور الدين
والدنيا ؛ ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به
. ول بعضهم في صفة القلم : .

ورواقم رقش كمثل أراقم ... قطف الخطا نباله أقصى المدى .

سود القزوائم ما يجد مسيرها ... إلا إذا لعبت بها بيض المدى .

وقرأ ابن الزبيرك علم الخط بالقلم .

" كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرءيت الذي ينهى عبدا إذا
صلى أرءيت إن كان على الهدى أو امر بالتقوى أرءيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى
كلا لئن لم ينته بالناصية ناصية كذبة خاطئة فليدع ناديه سندع البانيه كلا لا تطعه واسجد

واقترِب " " كلا " ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه " أن رءاه " أن رأى نفسه . يقال : في أفعال القلوب : رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها . ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين . و " استغنى " هو المفعول الثاني " إن إلى ربك الرجعى " واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان . والرجعى : مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع . وقيل : نزلت في أبي جهل . وكذلك " أراءيت الذي ينهى " وروى : أنه قال لرسول الله ﷺ : أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال : إن شئت فعلنا ذلك قم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم عن الدعاء إيقاء عليهم . ورويعنه لعنه الله أنه قال :